

الإسلام ، الخلاص وإلهية المسيح

Islam, Redemption, and the Deity of Christ



لَيْسَ بَيْنَنَا مُصَالِحٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْنَا!
أَيُّوب ٩: ٣٣

**If only there were someone to arbitrate between us,
to lay his hand upon us both,
Job 9:33 (NIV)**



فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ وَالْكَالِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللَّهُ...
وَالْكَالِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْداً كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الْآبِ
مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً.
يُوحنا ١: ١ ، ١٤

In the beginning was the Word, and the Word was with God, and the Word was God. ...

The Word became flesh and made his dwelling among us.

We have seen his glory, the glory of the One and Only, who came from the Father, full of grace and truth.

John 1:1,14

www.muhammadanism.org
November 29, 2011
Arabic

تضرّع أيوب ، في العهد القديم ، ليقف أحد ما بين الله وبينه. كان تَوَاقُماً لإيجاد أحدٍ قادرٍ على الشعور بحالة اليأس والإحباط التي كان يتخبطُ بها ، فيقف أمام الله ملتمساً الرحمة له. نظر حوله ولم ير إنساناً مترقفاً عن الخطيئة ، يكون أهلاً ليتوسط بينه وبين الله الحكيم الفائق القداسة. لم يكن من جواب لمعضلة أيوب هذه في تاريخ البشرية حتى ظهور سيّدنا يسوع المسيح. سيّدنا يسوع المسيح هو الرابطة الحيويّة بين الله والخطيئ ، فالهَيْتَةُ تَمَسُ الله وإنسانيته تَمَسُ الجنس البشري. الهَيْتَةُ تَمَسُ المسيح جسر يربط بين الخطاة المذنبين وعدالة الله اللامتناهية و قداسته التي لا تقبل الشك. ولولا الهَيْتَةُ سيّدنا يسوع المسيح لما كانت هناك أية إمكانية للفتداء والخلص لنا جميعاً.

الخطاة

جميع البشر وقعوا في الخطيئة. ومن وقع في الخطيئة يجب أن يُحاكَم ويُعاقَب حسب العدالة اللامتناهية للقدير الفائق القداسة. كون الإنسان خاطئ يؤكد تكراراً كلُّ من الكتاب المقدس والقرآن. ويعرض كلُّ من العهد القديم اليهودي والعهد الجديد المسيحي واقع أن الجميع خطاة.

كتب الملك داود أننا "كلنا انحرفنا جانباً" ، وطبق هذا القول على نفسه والآخريين. في الواقع نقرأ أن الملك داود زنى. لكن ، حتى بالنسبة لإنسان هام نظير الملك داود ، يبقى الله حريصاً على الحقيقة ولا يُخفيها أو يعرض قدسيته للسؤ من أجل أيِّ كان. **الرَّبُّ مِنَ السَّمَاءِ أَشْرَفَ عَلَى بَنِي الْبَشَرِ لِيَنْظُرَ: هَلْ مِنْ فَاهِمٍ طَالِبِ اللَّهِ؟ الْكُلُّ قَدْ زَاغُوا مَعاً فَسُدُوا. لَيْسَ مَنْ يَعْمَلُ صَلاَحاً لَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ. { المزمير ١٤: ٢-٣ }**

كتب النبي أشعيا أننا " كلنا كالغنم ضللنا الطريق " ، دون أي استثناء. **كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مَلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. { أشعيا ٦: ٥٣ }**

وَقَدْ صَرْنَا كُلُّنَا كَنَجَسٍ وَكُتُوبٍ عِدَّةٍ كُلُّ أَعْمَالِ بَرِّنَا وَقَدْ ذَبَلْنَا كَوَرَقَةٍ وَأَثَامُنَا كَرِيحٍ نَحْمَلُنَا. { أشعيا ٦٤: ٦ }

يمكن أن نعود أيضاً إلى الكثير من الإقتباسات الأخرى في هذا الصدد ، غير أننا نكتفي باقتباس أخير من العهد الجديد يؤيد نظرية العهد القديم حول إثم البشرية ؛ نقرأ :

إِنَّ الْجَمِيعَ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ { رسائل رومية ٣: ٢٣ }

تعني باليونانية عدم إصابة الهدف. وإذا كان من المتعارف عليه أن البعض يصيب (hamartia, αμαρτία) كلمة الخطيئة الهدف أكثر من غيره ، إذاً فالبشر غير متساوين درجة في الخطيئة. غير أن الجميع يُخفقون في الوصول إلى عظمة الله. وكما قال سيّدنا يسوع المسيح ، معيارُ الكمال هو كمال الله نفسه.

فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ آبَاكُمْ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ. { إنجيل متى ٥: ٤٨ }

الأنبياء كانوا خطاة

يعد الكتاب المقدس بأمانة خطايا أنبياء العهدين القديم والجديد. وبقدر ما نجد هذا الأمر مهيباً ، فالله هو الحق ، وهو الذي يعد أفعالهم ، الجيدة منها والسيئة. الله لا يكذب (عبرانيين ٦: ١٨). وهو غير قادر على تقديم صورة وهمية عن حياة الأنبياء. لذلك ، عندما نقرأ الكتاب المقدس ، نرى أنهم كانوا خطاة وبحاجة إلى نعمة الله ورحمته وصفحه.

مُعظم المسلمين العصريين كافرون ، حسب شهادة القرآن في ما خص خطايا الأنبياء. إنهم يحاولون تليين قوة القرآن وتمرير آثام الأنبياء على أنها لحظات سهو أو أخطاء غير مقصودة أو ناتجة عن عدم المعرفة أو أنها أمثلة في التقاوة والتواضع. غير أن القرآن يذكر أن آدم وحواء خالفا وصية الله الواضحة بعدم الأكل من ثمر الشجرة أو الإلتجاء للشيطان. لقد خالفا أوامر الله بكامل إرادتهما وكانا على دراية أنه ، لو لم يغفر الله لهما ، لكنا على درب الضياع والموت. وعندما قال " لقد أخطأنا " ، لم يكونا بريئين أو يتكلمان بتواضع ظاهر كما أنهما لم يدعيا الجهل. لقد عرفا دون أي شك أنهما انتهكا وخالفا أمرين من الله القدير.

فَدَلَّاهُمَا يُعْرُورُ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ
وَرَقِّ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ
لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ { سورة الأعراف ٢٢:٧-٢٣ }

يذكر القرآن أن النبي إبراهيم أمل أن تُغْفَرَ له خطيئته يوم القيامة:
وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ { سورة الشعراء ٨٢:٢٦ }

إحتاج النبي موسى للصفح وكان النبي يونس جديراً باللوم لأفعاله الثورية:
قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ { سورة
القصص ١٦:٢٨ }
فَأَلْتَمَعَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ { سورة الصافات ٣٧:١٤٢ }

هكذا يناقض القرآن فكرة المسلمين أن الأنبياء معصومون عن الخطيئة.

مُحَمَّدٌ كَانَ خَاطِئًا

أن مُحَمَّدٌ كَانَ مَعْصُومًا عَنِ الْخَطَا ، يُعْطَى الْقُرْآنَ وَمَجْمُوعَةَ الْأَحَادِيثِ الْقَدِيمَةِ رَغْمَ ادْعَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْعَصْرِيِّينَ
صُورَةً أَكْثَرَ وَاقْعِيَّةً. فَالْمَصَادِرُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْقَدِيمَةُ تَقْدِّمُ الدَّلِيلَ عَلَى خَطِيئَةِ مُحَمَّدٍ ، وَأَنَّهُ أُعْطِيَ تَعْلِيمَاتٍ لِيَطْلُبَ الصَّفْحَ عَنِ
خَطَايَاهِ السَّابِقَةِ وَاللَّاحِقَةِ. وَالتَّعْبِيرُ الْعَرَبِيُّ الدَّالُّ عَلَى الْخَطِيئَةِ يُسْتَعْمَلُ فِي الْقُرْآنِ لَوْصُفِ الْأَفْعَالِ الشَّرِيرَةِ لِمَحَبِّي الْأَذَى مِنَ
البشر. إِذَا ، إِنَّهُ أَكْثَرَ مِنْ كَلِمَةٍ تَعْنِي "إِقْتِرَافَ خَطَا" ، كَمَا يَدَّعِي الْكَثِيرُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَحَاوَلَةِ اللُّهْبِ مِنْ زُخْمِ الْآيَاتِ الْقُرْآنِيَّةِ
هَذِهِ. تُسْتَعْمَلُ كَلِمَةُ "ذَنْبٌ" فِي الْقُرْآنِ لِلْأَفْعَالِ الشَّدِيدَةِ الْأَذْيَةِ وَالتِّي يَسْمَى الْبَعْضُ مِنْهَا "الْكِبَائِرُ".

فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ {سورة
غافر ٤٠:٥٥ }

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمِّمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا
{ سورة الفتح ٤٨:٢ }

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ
وَمُنْوَكُم { سورة محمد ٤٧:١٩ }

إضافة إلى القرآن ، يؤكد صحيح الحديث خطيئة مُحَمَّدٍ. فـ صحيح البخاري و صحيح مسلم ، وهما من أكثر الأحاديث تقديراً ،
يذكران أن مُحَمَّدٌ التمس صفح الله عن خطاياهِ السَّابِقَةِ وَاللَّاحِقَةِ ، كما ذَكَرَتِ الْخَطَايَا الَّتِي تَمَّتْ فِي السَّرِّ.

حَدَّثَنَا قَبِيصَةُ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ ابْنِ جُرَيْجٍ عَنْ سُلَيْمَانَ عَنْ طَاوُسٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ
اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُو مِنَ اللَّيْلِ اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَبِيْمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
قَوْلُكَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ حَقٌّ اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ وَبِكَ
أَمَنْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْكَ أُنْبِتُ وَبِكَ خَاصَمْتُ وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ فَاعْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ

وَأَسْرَرْتُ وَأَعْلَنْتُ أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ لِي غَيْرُكَ { صحيح البخاري - مجلد ٩ - كتاب ٩٣ - رقم ٤٨٢ }

حَدَّثَنَا أَبُو مَعْمَرٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ قَالَ حَدَّثَنِي بُشَيْرُ بْنُ كَعْبِ الْعَدَوِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي شَدَّادُ بْنُ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيِّدِ الْإِسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَنْطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوؤُ لَكَ بِبِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوؤُ لَكَ بِذَنْبِي فَاعْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ قَالَ وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ { صحيح البخاري - مجلد ٨ - كتاب ٧٥ - رقم ٣٣٥ }

حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ سَعِيدٍ وَحَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَى قَالَ هَارُونُ حَدَّثَنَا وَقَالَ حَرْمَلَةُ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ قَالَتْ دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ وَهِيَ تَقُولُ هَلْ شَعَرْتَ أَنَّكَ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَالَتْ فَارْتَاعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ قَالَتْ عَائِشَةُ فَلَبِثْنَا لِيَالِي ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ شَعَرْتَ أَنَّهُ أَوْجِي إِلَيَّ أَنْكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ قَالَتْ عَائِشَةُ فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ يَسْتَعِيدُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ { صحيح مسلم - كتاب ٤ - رقم ١٢١٢ }

تقدّم سيرة رسول الله لإبن إسحاق أمثلة أخرى عن آثام مُحَمَّد من لصوحيّة وقتل وسبي وغيرها. فلا عَجَب أن يكون ضمير مُحَمَّد مثقلاً. لكننا لن نسترسل في تقديم البراهين على أن الجنس البشريّ خاطئ وأن مُحَمَّد كان خاطئاً أيضاً ، بل نكتفي بما ذكر ونتاجع موضوعنا.

سيدنا يسوع المسيح لم يكن خاطئاً

أكد الرسل بطرس ويوحنا وبولس ، كل على طريقته ، أن المخلّص كان معصوماً عن الخطيئة. عُرفت عن الرسول بطرس الأفعال ، فكتب أن سيدنا يسوع المسيح لم يُخطئ. على نقيضه ، كتّيب يوحنا الرسول ، الذي عُرف بتأملاته وتقديره للذات الداخليّة التأمليّة ، أن المسيح لم تسكنه الخطيئة. أخيراً ، قال الرسول بولس ، وهو أكثر الرسل علماً وحكمة ، أن سيدنا يسوع المسيح لم يُعرف الخطيئة.

بطرس : **الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيئَةً، وَلَا وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ** { ١ بطرس ٢: ٢٢ }
يوحنا : **وَتَعْلَمُونَ أَنَّ ذَلِكَ أَظْهَرَ لِكَيْ يَرْفَعَ خَطَايَانَا، وَلَيْسَ فِيهِ خَطِيئَةٌ** { ١ يوحنا ٥: ٣ }
بولس : **لَأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً لِأَجْلِنَا، لِئَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللَّهِ فِيهِ** { ٢ كورنثوس ٥: ٢١ }

وفقاً للقرآن ، لم يكن يسوع خاطئاً. وقد جاء عن يسوع في سورة مريم ١٩: ١٩
"قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا"

ترجمها يوسف علي إلى الإنكليزية "ابناً مقدساً" ، و(بيكتال) "ابناً لا عيب فيه" ، و(شاكِر) "ابناً نقياً" ، و(الهلاي وخان) "ابناً مستقيماً" ، و(أحمد علي) "ابناً صالحاً" ، و(بيل) "ابناً مقدساً" ، و(بالمر) "غلاماً نقياً" ، و(رودويل) "ابناً مقدساً" و(أربري) "غلاماً فائق النقاوة"¹.

على عكس مُحمَّد ، يقول القرآن أن سيِّدنا يسوع المسيح كان طاهراً ، مقدساً ، صالحاً وعادلاً. ولم يذكر القرآن أبداً أنه قد أمر بطلب الصفح عن خطاياہ.

قدسيّة الله وعدالته

كما يُعلمنا الكتاب المقدس أن البشر خطاة ، كذلك يُعلمنا أن الله كامل القدسيّة والعدالة. بتعبير آخر ، لا يساير الله في عدالته لإظهار الرحمة. وعلى الخاطي أن يموت ويواجه عدالة الله في اليوم الآخر.

وَكَمَا وَضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الدَّيْنُونَةُ { عبرانيين ٩: ٢٧ }

لأن كل واحد منا خاطي ، سوف نموت يوماً ونواجه عدالة الله وحكمه على خطايانا. هل أنت جاهز للروح بأثامك أمام الله العليم ؟ هل تعتقد خطأ أن الله سيعفرك لك خطاياك لانك أتيت بعض الأعمال الصالحة خلال حياتك ؟ هذا تفكير جنوني ، أتم ووثني. وكي نبرهن خطأ هذه الفكرة ، فلنفترض أن شخصاً ما يعمل بجد وهو أب صالح يعمل أبناءه معاملة حسنة. بالطبع هذه أفعال صالحة بحد ذاتها وجديرة بالتقدير. إنها أعمال أوصى الله بها وينتظر منا إتقانها.

فَهَلْ لِدَلِّكَ الْعَبْدُ فَضْلٌ لِأَنَّهُ فَعَلَ مَا أَمَرَ بِهِ؟ لَا أَظُنُّ. كَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيْضاً مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أَمَرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّا عِبِيدٌ بَطَّالُونَ. لِأَنَّا إِنَّمَا عَمَلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا. { لوقا ١٧: ٩-١٠ }

لكن ، لنفترض أن هذا الشخص سرق أحد البنوك. هل تعتقد أن القاضي البشري سوف يصفح عنه لأنه يعمل بجد وهو أب صالح ؟ بالطبع لا! القاضي العادل يحكم على إثم سرقة البنك. أفعال الرجل الحسنة لا تبرر أفعاله الشريرة! القاضي الصالح والعادل مُجبر على إدانة ومعاقبة الأفعال الشريرة. هكذا الله بعدالته وقدسيته يتطلب أن تعاقب آثام الخاطي وعقاب الخطيئة الموت.

لَأَنَّ أَجْرَةَ الْخَطِيئَةِ هِيَ مَوْتٌ وَأَمَّا هِبَةُ اللَّهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبَّنَا { رومية ٦: ٢٣ }

نقرأ في الكتاب المقدس أن غضب الله سيعاقب فجور الخطاة وشرورهم :

لَأَنَّ غَضَبَ اللَّهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فَجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمُ الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالْإِثْمِ. { رومية ١: ١٨ }

وَأَمَّا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَالْكَائِنَةُ الْآنَ فَهِيَ مَخْزُونَةٌ بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ عَيْنِهَا، مَحْفُوظَةٌ لِلنَّارِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَهَلَاكِ النَّاسِ الْفَجَّارِ. { ٢ بطرس ٣: ٧ }

نختم لنقول أننا كمثل العبيد الأشرار الذين أخطؤوا تجاه سيدهم. يقول الكتاب المقدس أن كل الذين أخطؤوا سوف يواجهون حكم اللامتاهي العدالة وغضب الله الأبدي.

¹ Yusuf Ali's translation of Sura Maryam 19:19 is rendered "holy son" for Jesus, while others translate the Arabic text as "faultless son" (Pickthal), "pure son" (Shakir), "righteous son" (al-Hilali & Khan), "good son" (Ahmed Ali), "holy son" (Sale), "pure boy" (Palmer), "holy son" (Rodwell), and "a boy most pure" (Arberry).

رسالة جميع أنبياء الله الحقيقيين

أمن جميع أنبياء الله الحقيقيين بقيمة الأضاحي البديلة. يُظهر أول كتب التوراة اليهودية أن عقاب الخطيئة هو الموت. ويذكر سفر التكوين أن آدم وحواء أتيا الخطيئة عمداً وبكامل معرفتهما رغم وصية الله الصريحة. لقد جلب عملهما الأثم المتمرد هذا الموت للبشرية جمعاء. لم يكن ممكناً أن يحافظ الله على عدالته وكذلك أن يباركهما إلا إذا صفح عن آثامهما. عندها كساهما الله بجلد حيوان زُهقت حياته ليؤمن لهما الكسوة (سفر التكوين ٣: ٢١). كذلك وعد الله بأن يظهر في التاريخ البشري شخص يكون بزررة امرأة (طفل تلده عنراء) يسحن رأس الأفعى ، الشيطان (سفر التكوين ٣: ١٥ – أشعيا ٤٧: ١).
 ثم نقرأ أن هابيل قدم لله ذبيحة من أغنامه النقية (سفر التكوين ٤: ٤). لا شك أن هابيل سمع والديه يخبرانه عن خطيئتهما وكيف أن الله كساهما بجلد حيوان الذبيحة. لقد علم أنه هو أيضاً خاطئ وأن عقاب الخطيئة هو الموت ، فشرع بالحاجة إلى تقديم بكر أغنامه ذبيحة لله ؛ ونظر الله بعين الرضى إلى ذبيحة هابيل البديلة. لقد علم هابيل أن عقاب الخطيئة هو الموت ولم يكن ليتكلم على أفعاله الحسنة ؛ كما أدرك أنه يستحق الموت ، فقدم ذبيحته بإيمان شهادة لله على أنه خاطئ استحق الموت.
 على عكسه ، قدم قايين ثمار أعماله الصالحة التي لم تتطلب سفك الدماء تكفيراً عن خطايه ، فكان مثال الهندوسيين الذين يقرّبون الزهور والنباتات لألهتهم. كانت هناك فنتان من الديانات عبر التاريخ البشري : فئة تتكل على الأفعال الصالحة (كالمسلمين والهندوس) وفئة تعرف أنها خاطئة وتدرّك حاجتها إلى تضحية بديلة عن خطاياها (أهل الكتاب).
وَقَدَّمَ هَابِيلُ أَيْضاً مِنْ أُنْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ الرَّبُّ إِلَى هَابِيلَ وَفَرَّبَانِهِ {سفر التكوين ٤: ٤}

بنى النبي إبراهيم مذابح عديدة لتقديم الذبائح إلى الله في أرض الميعاد المقدسة.
وَاجْتَاَزَ اِبْرَامُ فِي الْاَرْضِ فِي الْمَكَانِ شَكِيمَ إِلَى بَلُوطَةَ مُورَةَ. وَكَانَ الْكُنْعَانِيُّونَ حِينئِذٍ فِي الْاَرْضِ. وَظَهَرَ الرَّبُّ لِاِبْرَامَ وَقَالَ: «لِنَسَلِكَ اعْطِي هَذِهِ الْاَرْضَ». فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ الَّذِي ظَهَرَ لَهُ. { سفر التكوين ١٢: ٦-٧ }

ثُمَّ نَقَلَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى الْجَبَلِ شَرْقِيَّ بَيْتِ اِبِلَ وَنَصَبَ خَيْمَتَهُ. وَلَهُ بَيْتٌ اَيْلَ مِنَ الْمَغْرِبِ وَعَايَ مِنَ الْمَشْرِقِ. فَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ وَدَعَا بِاسْمِ الرَّبِّ. { سفر التكوين ١٢: ٨ }

فَنَقَلَ اِبْرَامُ خَيْمَتَهُ وَاتَى وَاقَامَ عِنْدَ بَلُوطَاتِ مَمْرَا الَّتِي فِي حَبْرُونَ وَبَنَى هُنَاكَ مَذْبَحاً لِلرَّبِّ. { سفر التكوين ١٣: ١٨ }

فَقَالَ: «خُذِ ابْنَكَ وَحَيْدِكَ الَّذِي تُحِبُّهُ اسْحَاقَ وَاذْهَبِ إِلَى اَرْضِ الْمُرِيَا وَاصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى اَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي اَقُولُ لَكَ». { سفر التكوين ٢٢: ٢ }

كما أعطى النبي موسى وحياً مفصلاً ومطولاً عن ذبائح وقرابين مختلفة ليتقيد بها شعب إسرائيل.

ذبائح المحرقة (سفر اللاويين ١)

ذبائح الغذاء (سفر اللاويين ٢)

ذبائح الرضا (سفر اللاويين ٣)

ذبائح التكفير (سفر اللاويين ٤)

ذبائح التعدي (سفر اللاويين ٥)

ذبائح يوم التكفير (سفر اللاويين ١٦ و ٢٣: ٢٧-٣٢)

ذبائح الصباح والمساء اليومية (سفر الخروج ٢٩: ٣٨-٤٢)

الحيوانات النقية وحدها ، كالخراف والماعز والبقر ، كانت صالحة لإحتفالات الأضاحي. ولم تكن الحيوانات النجسة كالخنزير والجمل لتصلح كذبائح. لقد وُجِبَ أن تكون الذبائح المقدمة لله نقية لتكون بديلاً عن الخطيئة. ورغم أن النبي إبراهيم كان يملك الكثير من الجمال (سفر التكوين ٢٤: ٦٤) غير أنه لم يكن ليضحى بهكذا حيوان نجس أمام الله. ليس هناك من فرق مقدس بين الخنزير والجمل لأن الإثنين نجسان ولا يمكن تقديمهما كأضاحي.

لكن ، من الحيوانات المجترّة أو ذوات الظلف المشقوق تماماً ، من المحرّم أكل لحم الجمل والأرنب والوئير. فرغم كونها من الحيوانات المجترّة ، إلا أنها ليست من ذوات الظلف المشقوق تماماً ؛ إنها شعائرياً غير نقيّة.

والخنزير أيضاً نجس رغم أنه من ذوات الظلف المشقوق ، غير أنه ليس مجترأ. ومن المحرم أكل لحمه أو لمس جثته. ٥ (سفر التثنية ١٤: ٧-٨)

يمكننا مناقشة الذبائح الكثيرة التي قدمها الله كل من أيوب ونوح ويعقوب وجدعون وصموئيل والملك داود والملك سليمان وغيرهم. لكننا نترك هذا العمل إلى وقت لاحق. كل ما نعيه هو إظهار أن أنبياء الكتاب المقدس آمنوا بقيمة الأضاحي البديلة. والمفجع أن مُحَمَّد وأتباعه رفضوا أهم رسالة من رسائل أنبياء الله. وليس من المستغرب أن يكون يهود الجزيرة العربية قد رفضوا مُحَمَّد وأدعاه النبوة عندما شاهدوه يضحّي بالجمل النجس أمام الله.

أَوْ إِذَا مَسَّ أَحَدٌ شَيْئًا نَجِسًا: جُنَّةٌ وَحَشٌّ نَجِسٌ أَوْ جُنَّةٌ بَهِيمَةٍ نَجِسَةٍ أَوْ جُنَّةٌ دَبِيبٍ نَجِسٍ وَآخَفِي عَنْهُ فَهُوَ نَجِسٌ وَمُذْنِبٌ { سفر اللاويين ٥: ٢ }

لا يمكننا إنهاء هذا النقاش حول الرسالة الحقيقية لأنبياء الله دون ذكر النبي أشعيا. ففي كتاباته الملهمة وصف قدوم المسيح إلى هذا العالم بالكلمات التالية:

لأنه يُولَدُ لَنَا وَوَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَيَّ كَنَفِيهِ وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا مُشِيرًا إِلَيْهَا قَدِيرًا أَبًا أَبَدِيًّا رَّبِّيسَ السَّلَامِ { النبي أشعيا ٩: ٦ }

تتحني قلوبنا إعجاباً وتوقيراً إذا الأهم من ذلك أنه تنبأ بأن هذا المسيح سيموت فداءً ، كالحمل ، مُتَحَمِّلاً خطايانا وأثامنا جميعاً. ما تأملنا الإذلال والعذاب وموت حمل الله المقدس الذي مات فداءً للبشرية الخاطئة. ٥- وَهُوَ مَجْرُوحٌ لِأَجْلِ مَعَاصِينَا مَسْحُوقٌ لِأَجْلِ أَثَامِنَا. تَأْدِيبٌ سَلَامِنَا عَلَيْهِ وَبِحُبْرِهِ شَفِينًا.

٦- كُنَّا كَعَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا.

٧- ظَلَمْنَا أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ وَكَنَعَجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَارِيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ.

٨- مِنَ الضُّعْفَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أَخَذَ. وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الْأَحْيَاءِ أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟

٩- وَجُعِلَ مَعَ الْأَشْرَارِ قَبْرُهُ وَمَعَ غَنِيِّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ عِشٌّ.

١٠- أَمَّا الرَّبُّ فَسَرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحَزْنِ. إِنْ جَعَلَ نَفْسَهُ ذَبِيحَةً إِثْمٌ يَرَى نَسَلًا تَطُولُ أَيَّامُهُ وَمَسْرَةٌ الرَّبِّ بِيَدِهِ تَنْجَحُ.

١١- مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبْرِرُ كَثِيرِينَ وَأَثَامُهُمْ هُوَ يَحْمِلُهَا.

١٢- لِذَلِكَ أَفْسِمُ لَهُ بَيْنَ الْأَعْزَاءِ وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ وَأَحْصَى مَعَ أُنْمَةٍ وَهُوَ حَمَلٌ خَطِيئَةٍ كَثِيرِينَ وَشَفَعَ فِي الْمُذْنِبِينَ.

{ أشعيا ٥٣: ٥-١٢ }

إذاً ، لقد توقع العهد القديم قدوم سيّدنا يسوع المسيح إلى هذا العالم. كما تقدّم هذه المخطوطات القديمة نمطاً مفصلاً للذبائح الحيوانية مظهره جديّة الخطيئة وضرورة الذبائح البديلة. لقد أظهرت أن مخلصاً إلهياً سيأتي فيولد من بئول ويكون بلا خطيئة ؛ وتنبأت بأن هذا المخلص سيكون حمل الله الذي يموت فداءً للخطاة ويكون هو الحقيقة ويعطي معنى وأهمية لذبائح هابيل وإبراهيم وموسى وكافة الأنبياء الآخرين الذين ذكروا في الكتاب المقدس.

الهدف الرئيسي

الهدف الرئيسي من قدوم الابن الإلهي إلى التاريخ البشري هو إبراز سُبُل الخلاص المُقَدَّمة إلى الخطاة. هذا لا يعني أنه لم تكن هناك أهداف أخرى شاملة وعظيمة. غير أن الهدف الرئيسي يبقى افتداء الخطاة. ويربط كتاب العهد الجديد جميعاً الخلاص بشخص المسيح المبارك.

فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ لِأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ {إنجيل متى ١: ٢١}
لأنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ أَيْضًا لَمْ يَأْتِ لِيُخَدِّمَ بَلْ لِيُخَدِّمَ وَلِيَبْذُلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ {إنجيل مرقس ١٠: ٤٥}

لأنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ {إنجيل لوقا ١٩: ١٠}
لأنَّ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ. لِأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللَّهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيُدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لِيُخَلِّصَ بِهِ الْعَالَمَ. الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَا يُدَانَ وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ { إنجيل يوحنا ٣: ١٦-١٨}

... مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لَا أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَا الْآنَ فِي الْجَسَدِ فَأَنْمَأ أَحْيَا فِي الْإِيمَانِ، إِيْمَانِ ابْنِ اللَّهِ، الَّذِي أَحْبَبَنِي وَأَسَلَّمَ نَفْسَهُ لِأَجْلِي {رسائل غلاطية ٢: ٢٠}

صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحَقَّةٌ كُلُّ قُبُولٍ: أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ لِيُخَلِّصَ الْخَطَاةَ الَّذِينَ أَوْلَهُمْ أَنَا { ١ رسائل تيموثاوس ١: ١٥}

كَلَّمْنَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ - الَّذِي جَعَلَهُ وَارثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ. الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءٌ مَجْدِهِ، وَرَسْمٌ جَوْهَرِهِ، وَحَامِلٌ كُلِّ الْأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ، بَعْدَ مَا صَنَعَ بِنَفْسِهِ تَطْهِيرًا لِخَطَايَانَا، جَلَسَ فِي يَمِينِ الْعِظَمَةِ فِي الْأَعَالِي {رسائل العبرانيين ١: ٢-٣}

لأن الأسلام رفض المبدأ الحيوي لإلهية المسيح ، توجَّب عليه رفض موت المسيح بديلاً على صليب الجلجلة. وكمثل قايين ، إكتفى المسلمون بأعمالهم الصالحة كذبايح. يتناقض هذا الرفض مع أهم رسائل كافة الأنبياء الأقدمين ، ألا وهي أن الموت هو جزاء الخطيئة وأن التضحية البديلة ضرورية للتغفير عن خطايانا.

العدالة اللامتناهية

هناك الله ، من جهة ، بعدالته اللامتناهية وقديسيته ، ومن جهة أخرى ، هناك الخطاة الذين أتوا الآثام واستحقوا غضب الله. ليس من كائن بشري معصوم عن الخطيئة يمكنه أن يتقدَّم فيكون وسيطاً بين الله وخطاة هذا العالم. لا يمكن للأنبياء أن يتوسطوا فيزيلوا آثام الخطاة لأنهم هم أنفسهم خطاة أيضاً. إنهم بحاجة لمغفرة خطاياهم نظير الآخرين. ولو انتهى الموضوع عند هذا الحد ، لكان وضع الخطاة ميؤوساً منه ، يواجهون غضب الله القدير بسبب خطاياهم وآثامهم.

صورة الله ومثاله

(الله ومثاله tselem على عكس الحيوانات الغاشمة ، يذكر الكتاب المقدس أن الإنسان خُلِقَ على صورة (בצלמות) .) إنها نقطة هامة نُدرِكها لأن هذه الصفات الإنسانية المميّزة جعلت من الممكن للفرد الثاني من demuwth (דמוות) الثالوث القدوس أن يأخذ طبيعة إنسانية.

وَقَالَ اللَّهُ: «نَعْمَلُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ وَعَلَى كُلِّ الْأَرْضِ وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَابَاتِ الَّتِي تَدْبُ عَلَى

الأرض». فَخَلَقَ اللهُ الْإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرْنَا وَأَنْتَى خَلَقَهُمْ. { سِفْرُ التَّكْوِينِ ١: ٢٦-٢٧ }

سَافِكُ دَمِ الْإِنْسَانِ بِالْإِنْسَانِ يُسْفِكُ دَمَهُ. لِأَنَّ اللهُ عَلَى صُورَتِهِ عَمِلَ الْإِنْسَانَ. { سِفْرُ التَّكْوِينِ ٩: ٦ }

وَتَلَبَّسُوا الْإِنْسَانَ الْجَدِيدَ الْمَخْلُوقَ بِحَسَبِ اللهِ فِي الْبِرِّ وَقِدَاسَةِ الْحَقِّ. { رسائل أفسس ٤: ٢٤ }

وَأَلْبَسْتُمُ الْجَدِيدَ الَّذِي يَتَجَدَّدُ لِلْمَعْرِفَةِ حَسَبَ صُورَةِ خَالِقِهِ { رسائل كولوسي ٣: ١٠ }
بِهِ نُبَارِكُ اللهُ الْآبَ، وَبِهِ نَلْعُنُ النَّاسَ الَّذِينَ قَدْ تَكَوَّنُوا عَلَى شِبْهِهِ اللهُ { يعقوب ٣: ٩ }

ليس هناك من حيوان آخر خلقه الله على صورته ومثاله. لدى الحيوانات ، بالطبع ، قلب وأسنان وبشرة وعيون وآذان وغيرها ؛ إذا صورة الله ومثاله لا تتكون من هذه الخصائص الجسدية. خاصته الإنسان المميزة امتلاكه عقلاً منطقياً وحكمة غير ماديين. الخاصة هذه تحمل صورة الله القدير. الله وجود روحي لا متناهي الحكمة والمعرفة ، والمخلوقات البشرية كائنات تملك قدرأ *De Genesi ad Litteram* محدوداً من المعرفة والحكمة. كَتَبَ القديس أغوسطين (٣٥٤ – ٤٣٠ م.) في عمله المعنون " ، ما يلي:

يتركز تفوق الإنسان على أن الله جعله على صورته بإعطائه حكمة يتفوق بها على الحيوانات ...

... ما أساس ترفع الإنسان إلا كونه خُلق على صورة الله ؟ ولم يكن هذا في جسده بل في حكمته ...

يؤكد القديس توما الأكييني³ (١٢٢٥ - ١٢٧٤ م.) تعاليم القديس أغوسطين ويوافقه الرأي أن صورة الله في الإنسان تعني أن المخلوقات البشرية مخلوقات حكيمة.

أجيب : بما أنه قيل أن الإنسان هو صورة الله بسبب طبيعته الحكيمة ، فإنه يقترب من كمال الله بقدر براعته في تقليد الله في طبيعته الحكيمة^٤.

ناقش الفيلسوف اليهودي المشهور ، موسى ميمونيدس (١١٣٥ – ١٢٠٤ م.)، في كتابه "دلالة الحائرين" ، معنى ودلالات . قال ميمونيدس أن صورة الله ومثاله تعود لحقيقة أن لدى البشر حكمة *demuwth* و *tsalem* الكلمتين العبريتين ذهنية محدودة في حين أن القدير يتمتع بحكمة ذهنية غير محدودة. ولا يمكن للمحدود واللامحدود أن يتشابه في الحقيقة ، غير أن طبيعة الفكر البشري الروحية والحكمة تحمل تطابقاً مع طبيعة الفكر الإلهي الروحية والحكمة. كذلك ، ذكر ميمونيدس صراحة أن عبارة صورة الله ومثاله تشير فقط إلى طبيعة الفكر الإلهي والبشري الحكيمة ، ولا توحي أبداً أن لدى الكائن الأسمى جسداً مادياً كالإنسان.

بما أن تميّز الإنسان يكمن في خاصته لا يملكها أي مخلوق آخر على الأرض ، عنينا الإدراك الفكري ، وهو يستعمل هذه الخاصته دون استخدام حواسه ، أو تحريك يده أو رجله ، تمت مقارنة هذا الإدراك – ظاهرياً وليس بالحقيقة – بالإدراك الإلهي الذي لا يحتاج إلى أي عضو جسدي. وبسبب الفكر الإلهي الذي

² Augustine, *The Literal Meaning of Genesis (De Genesi ad Litteram)*, Volume 1 Books 1-6, Translated by J. H. Taylor, S.J., Paulist Press, New York, NY, 1955, (book 6, chapter 12, section 21-22) p. 193.

³ St. Thomas Aquinas

⁴ Aquinas, Thomas, *Summa Theologica*, Translated by Fathers of the English Dominican Province, Christian Classics, Westminster, Maryland, Reprinted 1981, Part 1, Question 93, Article 4, p. 471.

مُنح للإنسان ، قيل أنه صُنِعَ على شكل ومثال القدير ، ولكن بعيداً جداً عن فكرة أن الكائن الأسمى متجسّد وله شكل مادّي.^٥

إذاً ، فقد منح الله الإنسان فكراً روحياً وحكمة لا يمتلكها أي كائن آخر. كما أن الله كائن روحي وفكري أيضاً. وبما أن الفكر الإلهي والفكر البشري يتمتّع بالحكمة والروحانية وعدم المادية ، يقول الكتاب المقدس أن البشر خُلِقُوا على صورة الله ومثاله. الفرق بينهما هو الفرق بين المحدود واللامحدود. لكن فكرهما ينتمي إلى نظام وجودي غير مادي واحد ، ويملك الإثنين طبيعة روحية وفكرية.

مفهوم تفوّق البشر على الحيوان يؤكّده القرآن أيضاً ، فيقول أن الله نفخ من روحه في آدم. يُعلّق يوسف علي (رقم ١٩٦٨) على سورة الحجر ٢٩:١٥ يقول أن الله نفخ في آدم روحه ناقلاً إليه قدرة إدراك وإرادة شبيهة بالقدرة الإلهية. وبما أن قصة ميلاد مُحَمَّد التُّطُّت من قصص سفر التكوين التي ردها يهود الجزيرة العربية ، لا يجب أن نفاجاً بقراءة التأكيدات التي وردت في القرآن على قدرة البشر الروحية والفكرية.

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ {سورة الحجر ١٥:٢٩}٦

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ {سورة ص ٣٨:٧٢}٧

١٩٦٨ – ضمن فقرات أخرى ذُكر فيها خلق آدم ٢:٣٠-٣٩ | ٧:١١-٢٥ نلاحظ هنا التأكيد على ثلاث نقاط: ١) نَفَخَ روح الله في الإنسان ، أي قُدرة الإدراك والإرادة الشبيهة بالقدرة الإلهية ، والتي ، إذا ما استعملت على نحو صحيح ، أعطت الإنسان التفوّق على سائر المخلوقات ؛ ... (تعليق ملاحظات يوسف علي)^٨

إذاً ، يعترف القرآن صراحة بالطبيعة الروحية للإنسان وتفوّقه على الحيوان ، لأنه يمتلك روحاً حكيمة وروحانية. فيما يظهر أنه على المسلمين القبول بحقيقة أن البشر قد خُلِقُوا على صورة الله ومثاله ، توجّب علينا أن نحذر لأن القرآن يدعي أيضاً أنه ليس هناك ما يُشبهه الله.

فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ {سورة الشورى ٤٢:١١}

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ {سورة الإخلاص ١١٢:٤}

فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ {سورة النحل ١٦:٧٤}

⁵ Maimonides, Moses, *The Guide For The Perplexed*, translated by M. Friedlander, Dover Publications, New York, NY, p. 14 ((As man's distinction consists in a property which no other creature on earth possesses, viz, intellectual perception, in the exercise of which he does not employ his senses, nor move his hand or his foot, this perception has been compared—though only apparently, not in truth—to the Divine perception, which requires no corporeal organ. On this account, i.e., on the account of the Divine intellect with which man has been endowed, he is said to have been made in the form and likeness of the Almighty, but far from it be the notion that the Supreme Being is corporeal, having a material form.))

⁶ So, when I have made him and have **breathed into him of My Spirit**, do ye fall down, prostrating yourselves unto him." Sura Al Hijr 15:29 (Pickthal's translation)

And when I have fashioned him and **breathed into him of My spirit**, bow before him in homage. Sura Al Hijr 15:29 (Ahmed Ali's translation)

⁷ "When I have fashioned him (in due proportion) and **breathed into him of My spirit**, fall ye down in obeisance unto him." Sura Sad 38:72 (Yusuf Ali's translation)

When I have shaped him, and **breathed My Spirit in him**, fall you down, bowing before him!" Sura Sad 38:72 (Arthur Arberry's translation)

⁸ 1968. Among other passages where the creation of Adam is referred to cf. the following: 2:30-39; 7:11-25. Note that here the emphasis is on three points: (1) the breathing of Allah's Spirit in man, i.e., **the faculty of God-like knowledge and will**, which, if rightly used, would give man superiority over other creatures; ..." (Yusuf Ali's commentary note) [emphasis added]

نتيجة لذلك ، يقول بعض المسلمين – وليس جميعهم – أن أفكارنا البشرية عن الله لا تتسجم مع حقيقة الله لأنه متفوق بلا حدود على فكرنا البشري المحدود.

موقفهم هذا ، بالتأكيد ، غير متجانس منطقياً ، لأن هؤلاء المسلمين يدعون أن القرآن يقدم معرفة حقيقية لله. فإذا كانت اللغات البشرية غير قادرة على التعبير عن المعرفة الحقيقية لله ، هكذا القرآن أيضاً غير قادر على التعبير عن المعرفة الحقيقية لله لأنه يستعمل لغة بشرية ليعبر عن ادعائه الحقيقية. مثلاً على ذلك ، يصف القرآن عدل الله ، لكن التعبير البشري لكلمة العدالة يجب أن يتناسب مع معنى العدالة كما نجده في القرآن كي يكون له معنى لدينا. فإذا لم يكن الأمر كذلك ، كان تعبير العدالة في القرآن مجرد صوت مثير لا أكثر ، لان معناه لا يحمل أية علاقة مع المفهوم البشري للعدالة. نتيجة لذلك ، نعرف فقط أن عدالة الله ليست العدالة بمفهومنا نحن ، كالإنصاف والإستقامة وإعطاء كل فرد ما يستحق. وهكذا ، إذا كانت التعبيرات البشرية كالعدالة والحق والخالق واللامحدود وغيرها لا تشابه الله ، كان الله شبيه آلهة اليونان الوثنيين الغير معروفين.

لَأَنْتَنِي بَيْنَمَا كُنْتُ أَجْتَازُ وَأَنْظُرُ إِلَى مَعْبُودَاتِكُمْ وَجَدْتُ أَيْضاً مَذْبَحاً مَكْتُوباً عَلَيْهِ:
«لِإِلَهِ مَجْهُولٍ». فَالَّذِي نَنْقُونَهُ وَأَنْتُمْ تَجْهَلُونَهُ هَذَا أَنَا أَنَادِي لَكُمْ بِهِ. {أعمال الرسل
٢٣:١٧}

نقيض ذلك ، وبما أن الله هو خالق الأذن البشرية والفم ، ألا يمكنه إيصال المعرفة الحقيقية عن نفسه ؟ لقد تم توبيخ النبي موسى بالكلمات التالية:

فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَنْ صَنَعَ لِلْإِنْسَانِ فَمَا أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَ أَوْ اصَمَّ أَوْ بَصِيرًا أَوْ
اعْمَى؟ أَمَا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟ فَالآنَ أَذْهَبُ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَاعْلَمُكَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ». {سفر الخروج ٤:١١-١٢}

التجسد الإلهي

بما أن الطبيعة البشرية تملك صورة الله ومثاله ، كان من الممكن منطقياً أن تأخذ الكلمة الطبيعة البشرية (يوحنا ١:١ ، ١٤). شخص سيدنا يسوع المسيح سام ، إلهي ، لا محدود وغير مادي في حين أن جسده المادي وطبيعته البشرية كانا من العذراء مريم وكانا محدودين. لقد ميز القديس سيريل بين شخص الإبن الذي كان أديباً ولم تكن بدايته مع العذراء وبين الجسد البشري والروح المنطقية التي كانت أصولها المؤقتة من العذراء مريم والروح القدس.

لكن هذه العبارة " الكلمة صار جسداً " (يوحنا ١:١٤) لا يمكن أن تعني إلا أنه شاركنا في الجسد والدم ؛ لقد جعل جسداً جسداً له ، وأتى رجلاً من امرأة ، ولم يطلق وجوده كإله ، أو تحدّره من الله الأب ، لكنه حتى بتجسده بقي على ما هو. إعلان الإيمان الصحيح ينشر هذا على الملأ. كان هذا شعور الآباء المقدسين ، لذلك تجرؤوا على دعوة العذراء أم الله ، ليس كأن طبيعة الكلمة أو إلهيته كانت بدايته من العذراء المقدسة ، بل لأنه منها وُلد الجسد المقدس بروح منطقية ، فاتحد به الكلمة ، وقيل أنه وُلد حسب الجسد " سيريل الإسكندراني – أول الرسائل إلى نُستوريوس ٤٣٠ م.^٩

⁹ This expression, however, 'the Word was made flesh' [John 1:14], can mean nothing else but that he partook of flesh and blood like to us; he made our body his own, and came forth man from a woman, not casting off his existence as God, or his generation of God the Father, but even in taking to himself flesh remaining what he was. This the declaration of the correct faith proclaims everywhere. This was the sentiment of the holy Fathers; therefore they ventured to call the holy Virgin, the Mother of God, not as if the nature of the Word or his divinity had its beginning from the holy Virgin, but because of her was born that holy body with a rational soul, to which the Word, being personally united, is said to be born according to the flesh" Cyril of Alexandria, *First Letter to Nestorius*, A.D. 430.

يعترض المسلمون أحياناً كثيرة ويدعون " أنه من المستحيل أن يحلَّ في الجسد المحدود كائن لا محدود. " يُشير التعبير " جسد محدود" إلى الأبعاد الثلاثية. إذاً ، كي يكون لموقف المسلمين معنى ، يجب أن يشير تعبير " كائن محدود " إلى الأبعاد الثلاثية أيضاً. فلو كان الله لا متناهي الوجود في كافة الإتجاهات ، كان الكون كله الله. في هذه الحال ، يصبح المسلم نفسه وكافة الكائنات الأخرى في الكون ، يصبحون الله. نمط النقاش الإسلامي هذا يتبع نفس منطق المؤمنين بوحدة الوجود وفلسفة العصر الجديد الذين يدعون جديلاً أن كل شيء وكل فرد هو الله. ونتفاجأ بسماع المسلمين يلجؤون إلى حجج الوجوديين لضد احتمال التجسد الإلهي. في المقابل ، عندما يقول المسيحي أن الله لا متناهي ، إنما هو يُشير إلى اللامتناهي دون الأبعاد الثلاثية ، كالفكر والحقيقة والمحبة والطيبة والعدالة والرحمة وغيرها . في هذه الحال ، ليس هناك من تناقض منطقي للإدعاء أن اللامتناهي والذي لا أبعاد له يمكن أن يكون حاضراً ضمن بُعد محدّد.

لأن الطبيعة البشرية خُلقت على صورة الله ومثاله ، ولأن لها مغزى روحياً وغير مادي ، كان من المناسب للكلمة أن تتخذ الشكل البشري. هذا التصرف الإلهي المتسامح زوّد الكلمة بالسبل اللازمة لإظهار محبة الله اللامتناهي في التجربة البشرية ولكي يصير الذبيحة البديلة عن الخطاة.

وَالكَلِمَةُ صَارَ جَسَداً وَحَلَّ بَيْنَنَا وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ مَجْداً كَمَا لَوْحِيدٍ مِنَ الآبِ مَمْلُوءاً نِعْمَةً وَحَقّاً. {يوحنا ١: ١٤}

الإنسانية المحدودة

بما أن الجنس البشري هو الذي وقع في الخطيئة ، يجب أن يتمتع مُسدّد الجزاء عن الخطيئة بطبيعة بشرية. لكن بشرياً عادياً ، حتى ولو كان دون خطيئة ، لا يمكنه أن يدفع الثمن اللامحدود الذي تتطلبه عدالة الله اللامتناهي. في الواقع ، حتى لو كان فرد ما دون خطيئة ، فإن ذلك يعني أنه لا يجب عليه أن يموت. لكن ، إذا ما أخطأ فرد ما ، يجب عليه أن يموت من أجل خطايه هو. تنص شرائع موسى في الكتاب المقدس على أن " كل شخص يموت من أجل خطايه هو " (٢ أخبار الأيام ٢٥: ٤).

لَا يُقْتَلُ الآبَاءُ عَنِ الأَوْلَادِ وَلَا يُقْتَلُ الأَوْلَادُ عَنِ الآبَاءِ. كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيئَتِهِ يُقْتَلُ. {سفر التثنية ٢٤: ١٦}

ربما تخيل البعض أنه يمكن لإنسان غير خاطئ أن يتحمل حُكم جزاء خطايا شخص آخر ؛ حتى عندها ، لن يكون ذلك كافياً لخطايا أي فرد ثالث. لذلك ، لا يمكن حتى لبشري غير خاطئ أن يرضي معايير عدالة الله اللامتناهي في الجنس البشري. إذاً ، لو توفّر الفداء لكل أبناء البشر ، كان هناك عائق كبير لا يمكن تخطيه. أولاً ، على الفرد البشري أن ينجز سبيل الخلاص. لكن كل فرد بشري أثبت أنه خاطئ وغير قادر على التكفير عن نفسه ، فما بالك والآخرين. كذلك ، حتى ولو وُجد بشري غير خاطئ وكان راضياً أن يصبح الذبيحة البديلة ، فإن محدودية تضحيته لا يمكن أن تكفر عن أكثر من شخص واحد. من هنا ، نجد أن البشر بالضرورة مدانون ، ضائعون ومصيرهم الجحيم.

لربما ادعى البعض أن هناك كائنات أخرى ، كالملائكة مثلاً ، يمكنها أن تتحمل جزاء خطايا البشرية. إن حلاً كهذا يمكن أن يسد حاجة عقاب الخطايا ، لكنه لن يكون تعاملاً بين الجاني والمجني عليه. إنها الطبيعة البشرية التي هوت وأصبحت بحاجة لأن تترقى من جديد فتعود إلى حال المودة مع الله. من هنا ، يجب في الأساس أن يكون شخصاً يملك الطبيعة البشرية ويُرضي في الوقت نفسه المطالب اللامحدودة لاستقامة الله بأن يكون هو أيضاً إلهياً.

الدور المزدوج للوسيط

يجب على الوسيط أن يقدم لنا الله غير المنظور بطريقة محدودة وأن يمثّلنا أمام الله بطريقة غير محدودة. يجب أن يكون هناك بشري معصوم تماماً عن الخطيئة قادرٌ بموته أن يكفر عن الخطايا ويرضي عدالة الله اللامتناهي.

١ بما أن الله غير محدود أو منظور ونحن مخلوقات محدودة ، يجب على الله أن يتواصل مع الجنس البشري بأسلوب محدود. تجسّد الإبن يحقق تماماً هذا المطلب ، لأن الكلمة اللامحدود اتخذ حالة الوجود البشري المحدودة. وبتأخذه الطبيعة

البشرية ، أتى الكلمة إلى العالم وكان مظهر محبة الله ورحمته بشروط قَدِرَ
البشر المحدودون على فهمها وتقديرها.

٢ عدالة الله غير محدودة ، لذلك يجب أن تكون قيمة التعويض عن الخطايا غير محدودة.
لأن سيدنا يسوع المسيح هو الابن الإلهي وقد ملك الطبيعة البشرية ، أمكنه أن
يكون فداءً بشرياً للخطايا بقيمة إلهية غير محدودة.

من هنا نرى أن تجسد الكلمة في بدن بشري يقيم جسراً بين تفوق الله ومحدودية البشرية الخاطئة. كما نرى التعبير الكامل عن
محبة الله في شخص سيدنا يسوع المسيح ، وتضحيته كبديل لها من القيمة ما يكفي لإرضاء متطلبات عدالة الله الغير متناهية.

الخاتمة

بما أن الإسلام يرفض ألوهية سيدنا يسوع المسيح ، فهو بالتالي يرفض هدية المحبة التي قدمها الله للعالم ، ابنه الحبيب - سيدنا
يسوع المسيح - الذي أرسل ليكون مخلص العالم. الإسلام لا يملك مخططاً إلهياً للتكفير وافتداء الخطاة المذنبين.
رغبة قلوبنا أن لا ترفض أنت حمل الله المبارك الذي أتى إلى هذا العالم ليخلصك. لقد تعذب ، نزع ومات من أجلك ، ليعتقك
من خطاياك فتكون معه في الجنة.

لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل
تكون له الحياة الأبدية. {يوحنا ٣: ١٦}

**Worthy, O Lamb of God, art Thou,
That every knee to Thee should bow.**

Thou are the everlasting Word,
The Father's only Son;
God manifest, God seen and heard,
The heaven's beloved One;

In Thee most perfectly expressed,
The Father's self doth shine;
Fulness of Godhead too: the Blest,
Eternally divine.

Image of the Infinite Unseen,
Whose being none can know;
Brightness of light no eye hath seen,
God's love revealed below,

The higher mysteries of Thy fame
The creature's grasp transcend;
The Father only Thy blest name

تَسْتَحِقُّ أَنْتَ ، يَا حَمَلُ اللَّهِ
أَنْ تَجُتَوُّ لَكَ كُلُّ رُكْبَةٍ

أنت الكلمة الأزلية
وابن الله الوحيد
بُرهان الله ، الله الذي رأينا وسمعنا
عزيز السماوات

فيك أنتم تعبير
ونفس الأب فيك تتألق
ملوك الألوهية ، المبارك
والقدوس الإلهي

صورة الخفي اللامحدود
الذي لا يعرف وجوده أحد
تألق ضوء لم تر مثله عين
محبة الله وقد تجلت على الأرض

الأسرار العليا لشهرتك
إدراك المخلوقات للتفوق
الأب وحده ، مبارك إسمك
أيها الابن ، يمكنه فهمك

غير أن محبته ،
وهو الأقدس من أن يُذكر ، حلت عليك
العباد ، يا إله السماوات
كواحد معك ، قد تباركت

Of Son can comprehend.

Yet loving Thee, on whom His love
Ineffable doth rest,
The worshippers, O Lord, above,
As one with Thee, are blest:

Of the vast universe of bliss,
The centre Thou and Sun;
The eternal theme of praise is this,
To heaven's beloved One:

في الجنة الواسية
ومركزها أنت والشمس
هذا هو لحن التسبيح الأبدى
إلى السماوات ، يا أيها العزيز